

نوى

فصلية ثقافية - العدد المائة وواحد



NIZWA 2020 - 101

المكان الذي يتراص

به الغرقى

نصيف الناصري*

1

يقولون أن الهدف من سعيك الى فتح رتاج
الزمن عنوة، هو أنك لا ترغبين بالاقلاع عن
ارتداء الألبسة الحائلة.

المواظبة على تفحص جص القبر قبل الموت،
ضرورة تقتضيها عدالة مرض الانسان،
والآلهة لا تنشغل بتأمين لوازم المائدة.
رُفراف الطائر يشبه الشهاب وليست كل
أرض صالحة للنوم، وفي الطبيعة أشياء
كثيرة ضارة وتدمر المأوى.

أظهرت لنا السنوات الكيفية التي نتفادى
فيها التخمينات غير الصائبة، والمستقبل
يغري بالندو من النهاية ويحفزنا على أن
نتم مراسم الرحلة الى ما
لا عودة منه. شبكة دبقة يشقها الليل الى
نصفين، نعبرها بتوجس ونحيا أيامنا
بلا شهية لفتنة الموت.

2

تضاعفت أعداد القبور في أرضنا، والذي لم
توافه منيته، يجهد ليحصل على اتصال

بالرب. المبرأ من ضربة الصاعقة، يستميل
الأذى لزيادة صحته،
والكثير من الذين عرفتهم يسرعون حركة
السهم لنلا تفارق أرواحهم الأبدان.
حصدنا القمح بعد أن خرقنا الهدنة
مع الأطباء، ولم نلتق أي إطراء من الأسياد.
لماذا التحلي بالصبر والشهامة، وكل ما لا
نفع فيه. يسبح الهاوية القذرة لحيواتنا؟

3

تتمسك الروح بالغصن والمقبض القصير
للأيام، لكن إنماء المرء لسخطه وتبرمه
من أرتال الألم التي تعبر من فوقه ساعة
القيلولة. يجرده من كل امكانية للظفر
بكرامته. في العالم حجارة محفورة
لذرية الميت، ولا تنفع الخبرة في تجنب الدود
حين يشرع بغزل صوف
الجيفة. للموتى كما للأحياء
شظايا الرماد التي تنساقط فوقهم،
وليس في قدرة أحد
ما الاسهام برفع كتل النفاية

* شاعر من العراق يقيم في السويد

ومواجهة الظلمة الشاملة. تنفتت الذرات
الفتية للزمن، وينسب إلينا الذين رحلوا
وتركوا مباحثهم، الرضى بالخلود.

4

ليس في مرارة الحنظل وحلاوة العسل
عجوبة،
نهر العمر يعاني اللدغة المتكررة من أفعى
أيام المرض القائضة. البعض يتفق مع الذين
يعودون من التخوم، ولا يظهرون ميولهم
في النجاة من الغرق، إلى التجديف على شيم
الآلهة. احتوت البشرية الأعشاش الصغيرة
للسخط الدائم من الذين تسميهم الفضلاء،
وشرعت من غير عمد تقتنص الغربان وتحييا
في الزمهرير. يتطلب الحفاظ
على الارث ارتياد الأرض المتضررة للقبور.

5

يتقوَّض لدى الزرع الأمل
أثناء نزول الأمطار، وأغلبهم، يفقدون الرغبة
في الاسترداد
من الزمن ما ينبغي أن يُستردَّ. هل يجب
الاستمرار في ترك الأشجار تُقصَف ولا أحد
يغادر الأبنية المتشظية؟
الدفء أثناء الظهيرة علامة شؤم، وروح
الميت التي يضطرها الغبار إلى ملاقاته
الصقيع. موقرة في كبحتها لغبطة الخلاص
من الشراك. الشعوب تركض في البراري
ولا تلتفت إلى ما هو جدير بالبقاء، والحرص
على اقتفاء آثار الذين غيَّبهم الضوء
العميق لزمردة الفناء.

يقتصر على الغرقى وعلى بعض
الذين احتاجوا إلى مراعاة الحركة.

6

عبر السهم وأدركت قيمة البعد عن الشيء غير
المرغوب برفقته. كان جهلي بما يفرضه عليّ
حلول روح الميت في بدني، قد أقنعني بتقبل
نصيب من حياتي التي أمضيتها أروم الحفر.
من يصل إلى أرض الآبار القاحلة، يفوته أن
ينتسب إلى الذين يمضغون الحجارة طوال
أيامهم بين صدى التقرحات اللامتمهلة،
والآن بعد أن تخلّيت عن كل ميولي في ترصد
ما كنت أظن فيه الخير.
أحاول الاستجابة إلى نداء ما تدمرت منه
على الدوام. الزمن - الصدع، يخلو من الكثافة
المطلوبة للعيش. يسارع الغريب إلى اطفاء
بذرة مرضه اللهب، ويموت بلا قيمة في
أرض يتلاشى فيها الغفران.

7

نزلت التلّ وفي يدي كمادة أحاول أن أضعها
على الجبهة المحمومة لأخي الانسان.
كل ما يوضع على الأرض من قبل الآلهة، شرٌّ
وتتعاقب عليه النفاية.
تبني الخصام الدائم مع
الثمرة المدلاة فوق جثة الميت،
يضمن للحَيِّ الحفاظ على حقله وكفنه.
أكثر من وتد علّقنا فيه القنديل الحرّ للوقت
وأحصينا عدد من ماتوا مِنّا، لكن اختلاف
طرق الفناء في كل العصور.
حرمت الذين تشبّثوا

بالبقاء الأغطية الضرورية
لتجنّب البرد في العالم.

8

أزمان مُحْتدِمة ولا ملجأ فيها للذي يحاول
أن يروّي غليله من أثناء الآبار. ينفجر بين
رمل الشاطئ وبين رمل الصحراء، حقل
القمح الذي يحتشد فيه أهل العرس.
لماذا تودّ القبور امتلاكنا قبل أوان نضج
الثمرة؟ لا تتقدّم إلينا الشرور إلا ترضية
للتجمّعات الدائمة في سكون الطبيعة، أحلامنا
مُغلّفة بمظارييف مغشوشة ولا أحد بوسعه
النوم بعيداً عن الذين يتجافون حجارة
البركان. أثقلني العوسج العليل لحياتي
وتقدّمتُ إلى الله، أطلب باستحقاقي
من قسمتي في الإساءة إليّ، طوال كدحي بين
المعازل المتصدّعة للمجدومين.

9

واقفاً أمام المرأة أتشاور مع الشّبح
في داخلي، والعشبة العفنة تكبر في وجهي.
كمّية لا بأس بها من الألم أشعر فيها وأتحمل
الوطأة الثقيلة للفح السّموم. لو كُنْتُ أمتلك
ثروة أو بعض رؤوس الماشية، لما ارتكبتُ
الفحش في أوّل صلاة لي إلى مرضعتي.
تتضوّع أكثر من نبتة سامّة في الحفرة،
ويتمّ اغرائي بعد أن أفرغت حياتي
من الدموع للنزول بلا خشية
من الطعم الباهت لعالم ما بعد فرو الشمس.

10

أشارت إليّ حين غطستُ في البحر، كما لو
أنني كومة ملح على الساحل. وصفتُ لها
المكان الذي يتراصّ فيه الغرقى، فتملّكها
الاحساس بوفرة النعم الإلهية على كلّ من
ارتضى حياة الغرق. شجرة مثقلة بالنجوم
أهزّها فتنتقلع من مكانها وأهجس أنّها تتبرّم
من الذي يزدرئها. بعد أن وصلتُ إلى إحدى
الجزر، جمعتُ الحصباء ورميتُ بها الأمواج
المدوّية. صَحَّ عندي أن التظاهر بالغرق أكثر
جدوى من الغرق نفسه. هي وأنا انطبق علينا
المثل، عاريان غريقان لا يخجلان من طريقة
غرقهما.

11

ظننتُ أنّ بإمكانني عدم التدنس من ملاحقة
الطريدة، وكانت حساباتي مغلوبة.
أعنتُ المحتضر على لملة أغراضه وأخبرته
أنّ يسلمها طواعية إلى ورثته.
رفض التعجيل بترك ما جناه في حياته ولم
أجروّ على مماحكته بأشياء سوقية.
يلقى الغريب حتفه من دون نشدان معاضدة
الاخوة والأبناء.
صعدتُ الجبل في الليل ورأيت الطرائد نائمة
تحت الأشجار. اعتبرتُها اخوتي البشر.

12

سخرتُ من مصائر البَشَر ومن ميولهم إلى
غزل الصوف، لتدفئة الأنصال التي تضربهم
بها حياة الضنك. كلّ هالك يختار الوضعيّة
الغريبة في رمي نفسه بالحفرة قبل هلاكه،
وليس له الحيلة للخلاص
من الدود الذي يدأب على الافتراء عليه.

تجهل الآلهة ما يحل بنا حين تقذفنا في
فوهة البركان، والانسان لا يفلح في سعيه
الى نيل ثمرة تعب المزدانة بالغبار.
اشاعة الأمل في نفوس الذين نصادفهم
يحتطبون في الأحراش، فعل يخلو من
الشهامة. اهمال شأن التمايم وطرد
الساحر والمنجم، عامل قوة ويستحيل
فيه الرجوع من درب الدموع المؤتلفة.

13

فاجأني السهم وكنت أريد الاخلاص للراحة.
أمضيت النهار كله أحفر في ذاتي ولم
أتحمل رائحة التراب. تبادل المنفعة مع
الذين تأكدوا من خلودهم، يحتاج الى
مداولات والجنازات مباركة في عالم
يكتنفه الرياء. العرافات العجز استسلمن
للتقليد وما عاد بإمكانهن التكهّن تحت
الشمس اللهبابة. خفن من الزمن وازداد
نفورهن منه. تحتم علي الذهاب الى ما
وراء العالم، ولم أكن أتوقع النكبة الفظيعة.
يتسارع الشر ويسبق الذين توفوا قبل
أوان نضج الثمرة، واقتياد الأضحية
للذبح بالقوة. لا ينتفع فيه المذبوح منذ
الأزل.

14

ردّنتني عن الذهاب الى العمل صاعقة
استحوذت على كل ما جنيته في حياتي،
وكنت أظن أن ما زرعت في
طريقه الى النماء.
الموت له الأسبقية على الميلاد وما يتشدّد
في مسيرته للفاني.

الشقاء المفعم بعذوبة الزوال.
أبلغت إلهي بدنو أجلي فنزل من كوكب
وناولني شظية برق، تتيح لي العودة
الى منزلي بعد الموت.
أدعيت المرض على
الدوام وكنت لا أريد التزلّف الى أحد،
ولا أن ألدنس في تقبلي النصيحة السخيفة

15

يتهرّبون من اذاعة أخبار سخطهم وتذمرهم
من ضرب الشهب لغلتهم الفقيرة، وأرض
العالم ليست خصبة طوال العصور. الطوفان
القادم تتعالى داخله الانفجارات، والمتبع
لدى البشرية عند حدوث الزلزال. التحديق
بلا أمل في الكارثة. وثيقة مزورة قدّمتها
الى الذين عبروا النهر وسرّ معهم أتوجّس
من تباهيهم في فضائل الجرح.

16

فئات غفيرة تشمئز من ما تتعاطاه مع آلهتها،
وتعجز عن فهم نوع الألم وتوءمه المرض.
كان سفري الدائم في الأرض، تميمة أتغافل
فيها عن لحظة قدوم موتي،
وكنت أبحث عن
الحجارة القهّارة التي سادفن تحتها.
ولّد معي شبيهي وتعقّبت الطرائد.
أنا نفسي
طريدة وليست لي صلة بالغير.
كل ما رغبت فيه لم يمكث معي
وسارع يهرول مع غبار الزمن.